

ملخص الكتاب

الحرب على غزة 2014

وانعكاساتها على القضية الفلسطينية

يُعدّ هذا الكتاب حصيلة ندوة أقامها مركز دراسات الشرق الأوسط جمعت نخبة من الخبراء والأكاديميين لبحث تحولات الصراع العربي الإسرائيلي بعد حرب 2014 على غزة، حيث يتضمن الكتاب تسعة فصول بالإضافة إلى ملحق عدد من الملاحق تتناول إحصائية لنتائج الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، وملحق آخر يناقش فرص إعادة إعمار القطاع، إضافة إلى ملخصات كلمات الافتتاح في الندوة وبرنامجها وقائمة المشاركين فيها.

تناولت فصول الكتاب مجموعة من المواضيع المتعلقة بالحرب على غزة شملت أسباب الحرب ومحاولة تفسير وتحليل دوافع إسرائيل من هذه الحرب وبيان نقاط القوة والضعف لدى أطراف هذه الحرب، ومحاولة تقييمها العسكري والإعلامي، بالإضافة إلى مجريات الحرب والأداء العملي للأطراف المعينة بهذه الحرب على كافة الأصعدة ومحاولة تقييمها، إلى جانب القراءة في نتائج الحرب وتداعياتها ورصد الاحتمالات المستقبلية في هذا المجال.

يناقش فصل الكتاب الأول نقاط الضعف والقوة لدى المقاومة الفلسطينية وأهم التحديات التي تواجهها، وقد قدم لذلك بلمحة تاريخية عن نشأة المقاومة المسلحة وتطورها قبل أن ينتقل إلى الحديث عن أهم نقاط الضعف والتحديات التي تواجهها المقاومة في هذه المرحلة، والتي ترتبط أغلبها بالأوضاع الإقليمية والضغط الخارجي وممارسات الاحتلال وإفرازات الانقسام الداخلي، بينما تبرز أهم نقاط القوة من المقاومة نفسها من ناحية أدائها وإدارتها للآزمات ورؤيتها المتوازنة وصمود واتساع قاعدتها الشعبية، ويختم الفصل الأول بعرض بعض العوامل التي يمكن البناء عليها لتطوير قوة المقاومة والتي تصب أغلبها في مجال تعزيز دبلوماسية المقاومة على المستويين الإقليمي والدولي وتطوير خطابها الإعلامي.

ويقدم الفصلان التاليان الثاني والثالث مقارنة بين التحولات في أداء الجانبان الفلسطيني المقاوم والإسرائيلي على المستويين العسكري والإعلامي، حيث يتابع الفصل الثاني تطور أداء المقاومة عسكرياً منذ إطلاقها صاروخ القسام الأول عام 2001 إلى حرب 2014 مروراً بحروب

2008 و2012، مؤكداً على التطور الكبير في أداء المقاومة وفي إمكانياتها مقارنة بالجانب الإسرائيلي الذي لم يستطع تطوير خطته واستراتيجياته، إلى جانب انتصار المقاومة في المعركة النفسية والمعنوية وخلقها توازناً في الرعب بتكاليف لا تذكر مقارنة بما ينفقه الجانب الإسرائيلي في هذا المجال.

أما على صعيد التحولات في الأداء الإعلامي الفلسطيني المقاوم، فإن الكتاب يدعو بدايةً إلى التفريق بين الإعلام الحربي والإعلام المقاوم حيث يرتبط الأول ارتباطاً وثيقاً بالأجنحة العسكرية ويتحدث باسمها وينشط في حالات الحرب، بينما يرتبط الثاني بال جماهير وبجميع أشكال المقاومة التي لا تنقطع حتى في أوقات الهدنة، ويشير الكتاب إلى تحقيق الإعلام المقاوم قفزة نوعية في مجالات توثيق المجازر الإسرائيلية والحرب النفسية ودعم الصمود، والأهم خلقها قنوات اتصال عبر الإعلام الجديد وغير التقليدي.

أما على المستوى الإقليمي فقد واجه الإعلام الداعم للمقاومة تحدٍ غير مسبوق مع توجه عدد من الدول إلى معاداة المقاومة الفلسطينية وخصوصاً حركة حماس، بينما لا يزال الإعلام المقاوم يواجه اللوبي الداعم لإسرائيل على المستوى العالمي وخصوصاً في الغرب، وإن كانت وسائل الإعلام غير التقليدية قد مكنت الإعلام المقاوم من تحقيق اختراقٍ إلى حد ما على المستوى العالمي وإحراج بعض وسائل الإعلام المتطرفة في دعم إسرائيل.

وعلى الجانب الآخر يذكر الكتاب عدداً من السلبيات في أداء الإعلام المقاوم يعزوها إلى الأوضاع المعقدة التي يعيشها الفلسطينيون في ظل الاحتلال، وإن كان بالإمكان الحد والتغلب على عدد منها، بينما واجه الفلسطينيون إعلاماً إسرائيلياً متوافقاً مع المنظومتين السياسية والعسكرية الإسرائيلية وأهدافهما القصيرة والبعيدة ومبنياً على أسس أيديولوجية واستراتيجية وخطط مدروسة عدا عن الدعم المادي والفني الكبير.

يسعى الكتاب في فصله الرابع إلى رصد التحولات في الأداء السياسي العربي والإقليمي، وذلك انطلاقاً من استعراض لحالة الدول العربية قبل العدوان على غزة وقبل الربيع العربي الذي شكل بحد ذاته عاملاً أثر على الأداء السياسي العربي مع القضية الفلسطينية والعلاقة مع إسرائيل بشكل عام، والذي ألقى بظلاله أيضاً على أداء الجامعة العربية سلباً وأبرز هشاشة دورها.

وقد رصد الكتاب تراجعاً في الدور العربي بشكل عام وانشغالاً بالقضايا الداخلية لكلٍ منها

مع بروز للدور القطري والتركي، الأمر الذي أدى إلى تحول القضية الفلسطينية من صراعٍ عربي إسرائيلي إلى صراعٍ فلسطيني إسرائيلي بحسب الكتاب.

وعلى صعيد التحولات في الأداء السياسي الدولي، يركز الكتاب في فصله الخامس على الدور الأمريكي بشكلٍ خاص، ويسعى إلى فهم السياسة الأمريكية في إدارة الأزمة التي يراها البعض انعكاساً للتراجع الأمريكي من حيث الرؤية والاستراتيجية والاهتمام والقدرات، بينما يرجح آخرون بأن واشنطن تركت الدور لحلفائها الإقليميين للقيام بهذا الدور نيابة عنها، بما يكفل تحقيق النتائج المرجوة وحماية مصالحها وأهدافها ومصالح حلفائها في المنطقة.

ويرى الكتاب بأن سياسة أوباما في المنطقة بشكل عام تعتمد استراتيجية التدخل الأقل كلفة، حيث يضع سياسة واشنطن تجاه العدوان على القطاع في ذلك السياق، ويشير إلى وجود مخاوف تبديه أطراف إسرائيلية من تراخي الولايات في التعامل مع مساعي السلطة الفلسطينية "الأحادية" وتعاطفها مع الرئيس محمود عباس، وعلى الجانب الآخر أظهرت إدارة أوباما إبان الحرب تعاطفاً مع الجانب الإسرائيلي على أساس حقه في "الدفاع عن النفس" إلى جانب دعمه مادياً وعسكرياً، مع إبداء التعاطف مع المدنيين الفلسطينيين الذي يتعرضون للقتل والتدمير والتشريد في ازدواجية غريبة، ليخرج الخاسر الوحيد في هذه المعادلة المقاومة الفلسطينية وحدها، وعلى رأسها حركة حماس.

ويناقش الفصل السادس تداعيات الحرب على الواقع السياسي الإسرائيلي من محاور عدة، أهمها الاختلاف داخل الحكومة على مجريات الحرب وانخفاض شعبية نتياهو وإدارته بعد فشلها في إدارة المعركة ووقف ضربات المقاومة واتخاذ مواقف قوية وموحدة، وفقدان شرائح من المجتمع الإسرائيلي الثقة في السياسة الإسرائيلية برمتها ما دفع أعداداً منهم إلى الهجرة أو التفكير فيها، علاوة على استشعار الإسرائيليين العزلة على المستوى الدولي جراء ارتكاب جيشها العديد من الجرائم بحق المدنيين الفلسطينيين، وأخيراً تمخض عن ذلك كله الدعوة إلى انتخابات مبكرة وحل الكنيست الإسرائيلي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من ذلك الانهيار السياسي المتسارع.

ويسهب الكتاب في الحديث عن تداعيات الحرب على المستويين الإقليمي والدولي، ويقدم لذلك في باستعراض لتداعيات الحروب السابقة على القطاع 2008 و2012 وصولاً إلى القراءة في البيئة الإقليمية في أعقاب حرب 2014، حيث كان الدور المصري "سلبياً" بالنسبة للمقاومة

اللسطينية وأدى ذلك إلى تأخر الوصول إلى صيغة متوازنة لاتفاق وقف إطلاق النار، بينما اكتفت طهران بالحديث عن دعم المقاومة وخصوصاً الجهاد الإسلامي. وعلى الرغم من تمير الدور الداعم لكل من قطر وتركيا سياسياً ودبلوماسياً فإن المقاومة اضطرت إلى الاعتماد بشكل أكبر على ورقة القوة وتوجيه الضربات الموجعة للاحتلال لتحقيق هدنة متوازنة. ويتطرق الكتاب إلى انعكاسات الحرب على المستوى الدولي، حيث أثار سلوك إسرائيل حفيظة الولايات المتحدة، وبرز تباين واضح في التوجهات بين الحليفين، وأما الاتحاد الأوروبي فقد أبدى ميولاً أكبر نحو الاعتراف بحماس كقوة فاعلة لا يمكن تجاهلها في القضية الأهم في الشرق الأوسط.

ويستشرف الكتاب في فصليه الأخيرين ملامح ما بعد حرب 2014، فقد كشفت الحرب عن تغير في أوراق الطرفين، وعن حاجة ملحة إلى ترميم الجبهة الفلسطينية الداخلية من خلال إتمام المصالحة وتحفيز الانتفاضة الشعبية في الضفة وإعادة إعمار القطاع والعمل على كسر الحصار المفروض عليه، إضافة إلى الحاجة إلى تعزيز جبهة الممانعة عربياً وإقليمياً وتفعيل الدبلوماسية الفلسطينية دولياً لحشد أكبر دعم ممكن للقضية الفلسطينية والنأي بها عن تأثيرات الصراعات الإقليمية المختلفة.

ويقدم الكتاب للقراء والباحثين قراءةً إحصائيةً أعدها مركز دراسات الشرق الأوسط لنتائج الحرب الإسرائيلية على القطاع وذلك وفق المصادر الإسرائيلية، حيث خلص احتمال وجود تلاعب في إحصائيات خسائر الجيش الإسرائيلي بالنظر إلى تباين الأرقام الواردة في تقارير مختلفة، بينما تشير إحصائيات الضحايا المدنيين إلى فشل منظومة القبة الحديدية بالنظر إلى حجم الإنفاق الذي خصص لها بحسب التقرير، فلم تتمكن المنظومة من اعتراض أكثر من 16% من الصواريخ الفلسطينية بحسب المصادر الإسرائيلية التي توثقها القراءة.

ويناقش الكتاب ختاماً فرص إعمار القطاع، فقد جاء مؤتمر المانحين في أعقاب الحرب في ظل حديث عن الحاجة إلى أكثر من أربعة مليارات دولار لإعادة الإعمار الأولية، بينما يعيش القطاع أزمة غير مسبوقة وحصاراً خانقاً وتضييقاً من الجانب المصري، إلى جانب قائمة طويلة من التحديات التي تواجه خطط الإعمار، حيث يشير الكتاب إلى وجود خشية من استخدام ورقة الإعمار من قبل إسرائيل في "مأسسة الحصار" وابتزاز الفلسطينيين في سياق بحث إسرائيل عن

وسائل حرب جديدة غير المواجهة العسكرية التي أثبتت فشلها إلى حد بعيد.